انتقال العلوم العربية إلى الغرب اللاتيني
قسطنطين الإفريقي مثالا للنقل الطبي

عبد الرحمان تليلي
كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة تونس

«علينا أن نقــرّ بأنّ التراث العربي الإســلامي مازال يعيش في علومنا حتى الآن»

ماكس مايرهوف

توطئــة:

انتقلت العلوم الإسلامية إلى الغرب عبر عدة مداخل هي:

1) صقلية، وهي المعبر المهم للعلوم الإسلامية في اتجاه الغرب المسيحي مرورا بجنوب إيطاليا، حيث تولَّت مدرســة ســالرنو (Salernitus) مهمة نقل المعارف الطبية الإســلامية إلى أوروبا. ومن أشــهر من عمل وترجم وســاهم فــي تقدّمها ‹قســطنطين الإفريقــي› Costantinus Africanus وتلاميذه ‹يوحنا الفاسي› (Ioanes afflacius) الملقَّب ‹بصراسنوس› (Saracenis)، و‹براتلموس› (Ioanes Platearius innior). ولقد ترجم ‹قســطنطين› العديد من المصنفات العلمية وانتحل بعضها، ومن أهمها: ترجمته للقسم الأكبر لكتاب الملكي المعروف أيضاً باســم **الكنّاش** أو كتاب **الصناعة الطبية** Liber rigius ‹لعلي بن عباس المجوسي› – مسلم من الأهواز –، كذلك كتاب «زاد المسافر

وقوت الحاضر» (*Viatícum Peregrinantis*) للطبيب ‹ابن الجزّار القيرواني›، وعدة رسائل طبية ‹لأبي يعقوب إسحاق بن سليمان العبري›، ومنها كتاب **الأغذية** (*Liber di elementis*)**، والمختصر في علم الحميات** (*Liber di febribus*)...، أُعتبر ‹قسطنطين› بحق صلة الوصل المباشرة التي بفضلها وصلت المعارف القديمة إلى أهالي ساليرنو، الأمر الذي جعل منه المؤلف والمترجم الذي ساهمت أعماله في تقدّمها.

2) **المعبر الثاني:** الأندلس وجنوب فرنسا، حيث أصبحت طليطلة (Tolède) مركزا إسبانيا للترجمة من العربية إلى اللاتينية، ومن بين أشهر مترجميها ‹يوحنّا الاشبيلي› Johannes Hispalensis و‹دمنجو جنديسلفي› Domingo Gondisalvi وقد اعتنى هذان المترجمان بنقل الكتب العربية في الرياضيات والفلك والتنجيم والفلسفة، ويأتي على قائمة مترجمي طليطلة ‹جيرارد الكريموني› Gerard di Cremona، ومن أعماله المترجمة كتاب **التصريف** ‹لأبي القاسم الزهراوي› (*Tasrif d'Abulkassim Ezzahravius*)، وكتاب **القانون لـ**‹ابن سينا› (*Canon Aviceni*)، وكتاب ‹المنصوري للرازي› (*Liber medicilanis almanssorem*). وقد استمر النقل بطليطلة أثناء القرن الثالث عشر على يد ‹ميخائيل سكوت› Michael Scotto، وقد تواصل حتى عهد ‹ألفنسو الحكيم› (Alfonso el sabio 1252 – 1284). وعبر الحدود الإسبانية دخلت العلوم الإسلامية إلى لنغدوك (Languedoc) وبعض المناطق: بروفنسا فرنسا (Province) ومدرسة شارطر (Chartre)، وهي النواة الأولى للجامعات بفرنسا، ولها فضل السبق على جامعة باريس، كذلك مدرسة مونبيلي (Montpellier) التي حظي فيها كبار الأطباء المسلمين بالدراسة سواء عن طريق الترجمة أو الشروحات والتعليقات التي اقتبست عنهم. وقد ظلت الترجمات والشروحات للمؤلفات العلمية الإسلامية حتى القرن السادس عشر.

3) وهناك طريق ثالث لفلسفة العلوم الإسلامية في عبورها إلى الغرب، وهي الحروب الصليبية التي بدأت في القرن الحادي عشر، واستمرت حتى القرن الثالث عشر.

ومن ثم اهتم الصليبيون بالعلوم، ولاسيما الفلك وعلم الجغرافيا، كما أنّ الدراسات الشرقية قد بدأت مع البعثات النصرانية إلى الشرق. ولم تخل الحملات الصليبية من بعض العلماء الذين تأثروا بالعلم والأدب العربيين، فنقلوا وترجموا العديد من المؤلفات إلى اللاتينية، وأشهر من قام بذلك: ‹أديلار

دي باث، الإنغليزي الأصل Adelard de Bath و‹سطيفان البيزي› Stefano di Piza الذي عرف أيضاً ‹بسطيفان الفيلسوف› Stephanus philosophus.

اشتهر هذا الأخير بترجمته للكتاب **الملكي** ‹لعلي بن العباس الأهوازي› (*Liber regales*)، وتصنيفه أيضاً **لمعجم** (*Glossaire*)، جمع فيه المصطلحات اليونانية – العربية – اللاتينية التي استعملها ‹دياسقوريدوس› Pedanios Dioskorides.

قسطنطين الإفريقي مثالا للنقل الطبي

في عام 800 م أصبحت القيروان عاصمة للأغالبة ومن ثمّ عاصمة لإفريقيّة الإسلاميّة، وهكذا قامت على أنقاض الحضارة اليونانية - الرومانيّة، مراكز لتجارة الأدوية، كما قامت أيضاً مراكز ثقافيّة وعلميّة عربيّة.

ولو تأملنا الموقع الجغرافيّ في كلّ من القيروان وقرطاج[1]، مسقط رأس ‹قسطنطين الإفريقي› Constantinus Africanus لأدركنا العلاقة بين الثّقافتين ولاتضحت لنا السّبل التي انتهجتها التّيارات الثقافيّة، فالقيروان الواقعة بين الصحراء والسباسب تشكّل نقطة انطلاق لثقافة اتجهت نحو الساحل في الشمال، في حين فتحت قرطاج، ملكة البحار، الطريق المتّجهة مباشرة نحو الشمال أي أوروبا.

في هذا الموطن (قرطاج) – عاصمة إفريقية القديمة – ولد ‹قسطنطين الإفريقي›، وذلك في بداية القرن الخامس هجريا / الحادي عشر ميلاديّا (تقريبا 1010م 1015م)، وكانت وفاته بدير مونتي كاسينو (Monte Cassino) حوالي 1087 م. نَهل ‹قسطنطين› من المعارف والمساهمات الطبيّة التي كانت تجود بها «بيت الحكمة» بالقيروان حيث كانت تعدّ مدرستها الطبيّة من أهمّ مدارس الطبّ بإفريقيّة، ومؤسّس هذه المدرسة التونسيّة ‹إسحاق بن عمران البغدادي›[2]، وهو الطبيب الخاص للحاكم العربي **زيادة الله** أحد،

1 – أسّس الفينيقيون مدينة قرطاج، واسمها مستمدّ من التّسمية الفينيقية قرط حدشت، ومعناها المدينة الحديثة.

2 – إسحاق بن عمران (توفي حوالي 279 هـ/ 892م)، هو العالم الطبيب البغدادي الإفريقي، كان طبيبا حاذقا متميّزا بتأليف الأدوية المركّبة متمكّنا من تشخيص المرضى. ومن كتبه الباقية نذكر: مقالة في المليخوليا : المكتبة القوميّة – الموضوعات العربيّة مونيخ. (805: 2)، هذه المقالة درسها وقدّمها بوبكر بن يحيى:

أحفــاد عائلــة الأغالبة، وقد حكم بيــن ســنتي 903 م – 909م، هذا الطبيب كان له الفضل في نشر الفلسفة والطب في هذه البلاد. والمعلومات المتوفّرة لدينا عن حياة ‹إســحاق› بن عمــران قليلة جدّا. وعن طريق بحثه لا نعرف عنه ســوى قيامه مع تلامذته برحلات في أطراف القيــروان، وكان هؤلاء الطلبة يحملون معهم كتب ‹ديوسقوريدوس› Dioscoride و‹جالينوس› Galien التي كانــت تعينهم على مراجعة وترتيب كشــوفاتهم. كما كان أكبر أطباء هذه المدرســة القيروانيّة ‹الطبيب إســحاق بن سليمان الإسرائيلي› أو ‹العبري› Isaac L'hebreuتوفّــي قريبــاً من عام 320هـــ / 932[1]، وكان أكثر تلاميذ

– B. Benyahya, Les origines arabes du «de melancholia» de Constantin l'Africain, in: *Revue de l'Histoire des Sciences*, Tunis, 1953.

أنظر بالمثل:

– Dr S. Ammar et Dr. Ch. Mabrouk «Le traité de la mélancolie d'Isaac Ibn Omrane; Esquisse d'une étude cross culturelle de psychiatrie comparée», in: *L'Information Psychiatrique*,vol. 55, n°3(mars 1979) – Communication présentée au 2ème congrés arabe des sciences neurologiques – Djerba (Tunisie) 28 avril 1978.

ومن الملاحظ أيضاً أنّه قد سبق أن أشار د. أحمد الشريف إلى هذه المقالة، وقدّم عليها مختصرا في رسالته الموسومة بـ:

– Dr Ahmed Cherif, *Histoire de la médecine arabe en Tunisie* – Thèse de médecine, (Bordeaux 1808).

II – قطعة من أقرا باذين (الاسكوريال 887: 6)

III – **كتاب الـثّمار**: مقتطفات من مصنفات مختلفة لجالينوس – آياصوفيا، استامبول 30، الأوراق99 ب 1103).

1 – تذكر بعض المصادر أنّه توفّي بعد 341هـ/ 953 م. يقول عنه ابن أبي أصيبعة في كتابه **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** : كان إسحاق بن سليمان طبيبا فاضلا بليغا عالما مشهورا بالحذق والمعرفة، جيّد التصنيف عالي الهمّة، ويكنّى «أبا يعقوب»، وعُرف بالإسرائيلي، وهو من أهل مصر. ثم سكن القيروان، ولازم إسحاق بن عمران، وتتلمذ له، وخدم الإمام أبا محمد عبيد الله المهدي، صاحب إفريقيّة: بصناعة الطب، وعمّر إسحاق بن سليمان طويلا إلى أنّ نيّف على مائة سنة، ولم يتخذ امرأة ولا أعقب ولدا، ويُرْوى أنّه قال: لي أربعة كتب تحيي ذكرى أكثر من الولد، وهي «**كتاب الحمّيات**»، وكتاب «**الأدوية والأغذيـة**» وكتاب «**البول**» وكتاب «**الأسطقسات**»

وقد ترجم قسطنطين الإفريقي مصنفاته إلى اللاّتينيّة في حدود عام 1080 م، فظّلت تدرّس حتّى القرن السابع عشر وهي:

cum commento ejusdem. Liber de elementis

Liber dietarum universalium cum copmmento petri Hibpani.

‹إســحاق بن ســليمان› نبوغا هو ‹أبــو جعفر أحمد بن ابراهيــم بن (أبي) خالد ابــن الجزّار القيرواني› الذي قام ‹قســطنطين الإفريقي› بانتحــال ونقل مؤلفاته إلى مدرســة «ســاليرنو» (Salerno)[1] الواقعة على الشّــاطئ العربي من وسط

Liber dietarum particularium

Liber de Febribus de winiscum commonto ejusdem.

Pantechni decem libri theorisces et decem pratices cum tractu de gradibus medicinarum constantini.

مؤلفات قسطنطين:

1/ كتاب **الحميّات** : (ليدن 1305)، (بودليانا عبري 416)، – ترجمه إلى العبرية الباحث اليهودي شتنشنيدر (M. Steinschneider)، وترجمه إلى الإسبانيّة، حيث نشر النص الإسباني الأصلي الذي قد يرجع إلى القرن الرابع عشر، خوسه ليانوس (Jose Lanos)، ط، المجلس الأعلى للأبحاث العلميّة – مدريد – برشلونة عام 1945.مخطوطة هذا الكتاب موجودة أيضاً بمكتبة الإسكوريال، نظمها: نميسيو موراتا (Nemesio Morata) رقم 83في «معرفة الكتب العربيّة» بخزانة (شنت لورانسو السلطاني) على ترتيب الحروف (إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، كتاب مجموع من أقاويل الأوايل في الحميات، مشتمل على خمس مقالات لا يخصّه شيء).

2/ كتاب **الأغذية و(الأدوية)**: المجلد الأول، مونيخ، ألمانيا الغربيّة 809 – مدريد 557.

– دفتر كتب خانة فاتح جامع إستمبول 3604 – 305.

– شتلنشنيدر اعتمادا على النص اللاّتيني، كما توجد ترجمة ثانية من العربية إلى العبريّة. وترجمه قديما قسطنطين كما سبق ذكره. ويوجد أيضاً بدير (الإسكوريال)، رقم 82 في الفهرس الذي نظمه (نميسيوموراتا) ما نصه: إسحاق بن سليمان الإسرائيلي في المقالة الثالثة والرابعة من كتاب «الأغذية في الطب»، كتب بمدينة مورسيّة عام تسعين وخمسمائة.

3/ **كتاب البول** : أيا صوفيا (استمبول) 3563 الأوراق 63 ب – 78أ. بودليانا: 611: 2، هذا الكتاب يشتمل على عشر مقالات: وهو منقول إلى العبرية عن النص العربي، وأخرى عن النص اللاتيني في أواخر القرن الثاني عشر، راجع مخطوط الإسكوريال رقم «86» في مجموعة نميسيو موراتا «86». هذا المؤلّف وجد طريقه للنشر في نصّه اللاّتيني وذلك من قبل:

Eugenio Fontana / II *libro delle urine di Isacco l'ebreo*, tradotto d'all'arabo, in Latino Costantino Africano. Testo Latino e traduzione italiana casa Editrice Giardini – Pisa 1966 (pp.141).

4/ **كتاب الأسطقسات**: ترجم إلى العربيّة وإلى اللاتينيّة، هذا الكتاب هو محاولة فلسفيّة حاول فيها التوفيق بين المعلّم الأوّل أرسطو وأبقراط وجالينوس. هذا وقد أعدّ الترجمةالعبريّة إبراهيم بن حسداي بناء على طلب (داود كمحني)، أمّا الترجمة اللاتينية فكانت على يد جيراردو الكريموني (Cherardo di Cremona).

– **كتاب الأغذية العامة والخاصة**: (De Diaetis universalibus)، طبع بمدينة بازل السويسرية عام 1570م – وطبع في باتافيا عام 1487م.

1 – مدينة (ساليرنو) لا تعدو اليوم أن تكون قرية أثريّة تحتضن قبر البابا غريغوري السابع،

إيطاليا، والمطلّة على خليج ساليرســنو من بحر التيراني (Mer Thyreninne) على مقربة من مدينة «نابلي»، وهي غير بعيدة عن جزيرة صقليّة. كانت هذه المدرسة مركزا له إشــعاع علميّ كبير، يُدرَّس فيها الطب العربي، لذلك اعتُبر ‹قسطنطين› قطبا من أقطابها لما جمعه وترجمه من المؤلفات الطبيّة.

هذه المدة كانت مهْد أقدم الجامعات الأوروبيّة التي قامت في العصور الوسطى، وكانت أهميّة سالين التاريخيّة تتمركز حول مدرستها الطبيّة التي بني هيكلها على أربع ثقافات، هي اللاتينيّة والإغريقيّة والعبريّة والعربيّة. وقد ساهمت ترجمات قسطنطين في تقدّم هذه المدرسة، وذلك في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي. وكان من بين من درس في ساليرني إسطفان البيزي (STAEFANO DI PIZA) باسم إسطفان الفيلسوف (STEPHANUS PHILOSOPHUS) الذي أقام فترة في جزيرة صقليّة – ولعلّه تعلّم العربيّة أثناءها وبعدها ذهب إلى أنطاكيّة (ولذلك يعرف أيضاً باسم إسطفان الأنطاكي). وفي أنطاكيّة ترجم في عام 1127م ترجمة جديدة كتاب علي بن عباس المجوسي، مسلم من الأهواز، وهي ترجمة أفضل وأشهر من ترجمة قسطنطين الإفريقي، تحمل عنوان: (LIBER REGIUS)، وهي ترجمة (لكتاب الملكي) لعلي بن عباس المجوسي. يذكر إسطفان في مقدّمة ترجمته لكتاب المجوسي بأنّه درس اللغة العربيّة لكي يصل إلى منبع العلم. كما يذكر كذلك بأنّ علماء الطب يوجدون في المقام الأول في صقليّة وساليرنو، وهم من الناطقين بالعربيّة أو اليونانيّة، راجع: أحمد عزيز. **تاريخ صقليّة الإسلاميّة**، تعريب وتعليق أمين الطيبي الدار العربيّة للكتاب – ليبيا – تونس 1980، ص 102، راجع أيضاً:

Aldo Mieli, *La Science arabe et son rôle dans l'évolution scientifique mondiale*, Leiden – Brill, 1966, p. 225. C.H. Haskins, *The Normans in Europen History*, U.S.A. 1966, p. 134.

ومن الملاحظ أنّه لم تنجز ترجمات هامة في الطب في صقليّة في القرن الثاني عشر. حيث بذل الملك روجار الثاني جهدا كبيراً لتنظيم دراسة الطب ومزاولته بتأثير من أطبائه من العرب. فها هو الفقيه ابن عبدون الأندلسي (أوائل القرن الثاني عشر) يقول: «يجب أن لا يترك أحد يتصوّر في شيء لا يحسنه لاسيّما صناعة الطب الذي فيه إتلاف المُهَج». أمّا ابن الأخوّة فيقول إنّ الكحّالين يمتحنهم المحتسب بكتاب حنين بن إسحاق. أعني العشر مقالات في العين، قبل أن يأذن لهم بالتّصدي لمداواة أعين الناس». راجع: محمد بن عبدون، «**رسالة في القضاء والحسبة**»، القاهرة 1955، ص 46. ولعلّ آخر كبار المترجمين من اللغة العربيّة في القرون الوسطى كان من أصل صقلّي. وهو فرج بن سالم المعروف باسم: (Faragut) من مدينة جرجنت على الساحل الجنوبي لصقلية، وكان قد تلقّى العلم في ساليرنو. ومن إنجازاته الكبيرة، ترجمته لكتاب (**الحاوي**)، (Liber continens)، وهو يحتوي على 23 سفرا. هذا الكتاب ترجمه عام 1279م للملك شارل دانجو، فأصبح مرجعا في كافة كليات الطب بأوروبا في عصرها الوسيط: انظر: أمين توفيق الطبيبي «دور صقلية في انتقال العلوم والمعارف العربيّة إلى أوروبا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر». في **المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ العلوم**، حلب (سوريا) 1987.

فاعتبر بحقّ صلة الوصل المباشـرة التي بفضلها وصلت المعارف القديمة إلى أهالي سـاليرنو، الأمر الذي جَعل منه المؤلِّفَ الرائد في ميدان الطب في العصر الوسيط، والمترجم الذي ساهمت أعماله في تقدّمها.

ولأنّ أوروبـا تدين لــه بانتقال العديد من العلوم إليهـا، فإنّنا ندرك مدى اهتمام رجل التاريخ بما قدّمه ‹قسطنطين› في هذا المجال.

وتتراوح الآراء بشـأن شخصيته ودراساته بين المبالغة في تقديره، فالطبيب المؤرخ ‹شارل فكتور دارمبارغ›[1] اقترح مثلاً إقامة تمثال له في خليج ساليرنو[2]، وبين الرّفض الشـديد لهـذا المنتحل والمترجم غير الدقيـق الذي لا يمكن الاعتماد عليه.

ولكنّ في خضمّ هذه المناقشات التي كثيراً ما كانت تتّسم بطابع العنف بين مؤيّد ومعارض لـ‹قسطنطين›، لم نُعِر اهتماما يُذكر لما هو جوهري: فنظرا إلى الأهميّة التاريخيّة للمعارف التي نقلها ‹قسطنطين› للغرب، فإنّ مناهجه لم تحظ بالعناية التي تستحقّ وظلّت يُنظر إليها كعامل ثانوي[3].

(2)

إنّ أوّل مـن أرّخ لـ‹قسـطنطين الإفريقـي› الرّاهـب ‹بيتـروس دياكنوس› Piatrus Diaconus المتوفّـى عـام 1140م. وهـو كاتب سـيرته الأوّل. هذا الراهـب يَذكر لنا في كلّ مـن مؤلّفه «**وقائع أو** (**حوليّة**) **مونتي كاسينو** » (*Chronica Monti Cassinensis*) و«**مشاهير رجالات مونتي كاسينو** »[4] (*De vinibus*)

---

1 – اهتم هذا الطبيب (ش. دارمبارغ) بتاريخ الطب كما اهتم أيضاً بتراجم قدماء أطباء الإغريق. وضمن هذين الحقلين ترك لنا الكثير من المؤلفات، انظر:

Ibrahim Ben Mrad, «Présentation de l'étude de ch. V. Daremberg, in *Cahiers de Tunisie*, T. XXI, n° 123 – 124, 1983, pp. 133 – 1345.

C.h.V. Daremberg, «Notices et Extraits des manuscrits médicaux grecs, – 2 latin, etc… de c.l. Paris, 1853, p. 85sv.

3 – **أنظر:**

Lucien Leclerc, *Histoire de la médecine arabe*, II, Réédité au Maroc Rabat 1980, p. 358.

Lothar Volger, Der Liber fiduciae de simplicibus médicinis, des Ibn Jazzar in der *Ucbersctzung von stemhanus de Saragossa,* Berlin 1941.

4 – من المحتمل أن يكون (بيتروس دياكنوس) قد أنهى مؤلّفيه في حدود عام 1140م، حيث

(*illustribus casinensibus*)، زار هذا الراهب دير مونتي كاسينو عام 509هـ / 1115م، أي بعد مرور ثلاثين عاما من وفاة ‹قسطنطين الإفريقي›. فكتب ‹بيتروس دياكنوس› بأنّ ‹قسطنطين› كان قد سافر إلى مصر وبغداد والهند وإلى بلاد الحبشة (أثيوبيا)، ليعود بعد ذلك إلى مسقط رأسه تونس التي تركها مرغما متّجها إلى صقليّة[1]. أما رأي ‹كارل سيدوف› Carl Sudhoff الذي يخالف الرأي الذي طرحه الرّاهب ‹بيتروس دياكنوس›، والذي يعتبر قدوم ‹قسطنطين الإفريقي› إلى إيطاليا ذا هدف وصبغة تجاريّين، كما نعلم مسبّقا أنّ ‹قسطنطين› اهتمّ منذ فترة بالتّجارة. وهناك تعرّف على شقيق الأمير ‹غوزلف› Gisulfo وكان طبيبا فما كاد ‹قسطنطين الإفريقي› يلاحظ فقر آداب الطب باللغة اللاتينيّة حتّى قفل راجعا إلى موطنه تونس فأكّب على إثرها ثلاث سنوات من العمل والجهد في دراسة علم الطّبابة، وبعد تجميعه عدّة مؤلفات تبحث في علم الطب (Accipienslibros)، حزم متاعه وارتحل نحو إيطاليا الجنوبيّة (صقليّة)[2]، قاصدا ساليرنو، حاملا معه كنزه المتمثّل في

لا نعرف شيئاً عنه بعد هذا التاريخ. هذا وقد أثبت هذا الراهب بأنّ قسطنطين كان «مغاربيا» (Sarasin)، وهو اسم أطلق على مسلمي شمال إفريقية في العصر الوسيط. وقد أخذ عن هذا الراهب دياكنوس أغلب من أرّخ لقسطنطين أمثال: دي رنزي ((De Renzi ودار نبارغ الطبيب – المؤرخ الذي عمل أيضاً محافظا للمكتبة الوطنيّة بباريس، وفستنفالد (Wüstenfeld) ولكلارك، كما ألف الألماني شتنشنيدر (Steinschneider) عام 1865 مؤلّفا خاصا عن حياة قسطنطين الإفريقي.

1 – لاحظ الراهب بيتروس دياكنوس، من ناحيته، بأنّ قسطنطين كان قد تعلّم الفارسيّة والسريانية والكلدانيّة والإغريقيّة واللاتينيّة والايطاليّة والفارسيّة والعربيّة والهيروغليفيّة والهنديّة والأثيوبية.

انظر:

Petri Diaconi, De vinibus illustrubus…, studio J.B. Mari Romani, Luteliae 1966, p. 45, tiré de L. Leclerc, *Histoire de la médecine arabe,* II, PP. 539 – 540.

2 – بدأ افتتاح العرب لجزيرة صقليّة وافتكاكها من أيدي الروم البيزنطيين في عهد الأغالبة، أمراء إفريقيّة، في صيف عام 212هـ / 827 م. وسرعان ما استولوْا على معظم الجزيرة، واتخذوا مدينة (بالرمو) عاصمة لهم. وقد بقيت جزيرة صقليّة تحت السيادة العربيّة أكثر من قرنين ونصف القرن من الزمن (212هـ / 484هـ / 827 م. 1091م). كما سيطر العرب على جنوب إيطاليا لعدّة سنوات، وأقاموا إمارة عربيّة بمدينة بارهـ (باري) عاشت نحو عشرين عاما. وقد بلغت جزيرة صقليّة أوجها الحضاري في عهد وُلاتها الفاطميين، بني أبي الحسين الكلبيين (336هـ 431هـ / 947 م – 1040م). إنّ فترة السّيادة العربية على جزيرة صقليّة تميّزت إجمالا بالتسامح الديني والارتقاء الحضاري، كما تميّزت بالازدهار الزّراعي

جمع من المخطوطات. وأثناء رحلته البحريّة تعرّضت سفينته إلى إعصار قرب ساحل لكنيا (Lucanie) شمال خليج بولكسترو (Policastro)، كانت نتيجتها تَلَف بعض هذه المخطوطات. فلمّا قدم إلى ساليرنو انضمّ كراهب في الدّير البندكتي[1] في مدينة (مونتي كاسينو) معتكفا وجاهدا في ترجمة ما تبقّى معه من المؤلفات محاولةً منه لتعويض خسارته أثناء رحلته البحريّة

والنّشاط التّجاري.

وفي منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، شهدت صقليّة فترة من الفتن والمنازعات الدّاخليّة ممّا أَطْمع فيه النورمان بجنوب إيطاليا. فغزْوا الجزيرة في عام 1061 م. وقد صمد العرب نحو ثلاثين عاما قبل أن يتمّ للنّورمان فرض سيادتهم على كامل الجزيرة عام 1091م. حكم هؤلاء صقليّة قرنا من الزمن – 1091م – 1194م. وقد اعتمدوا على العرب في الإدارة، في الدواوين والجيش والبلاط الملكي. ولثاني ملوك النورمان روجر الثاني – وتحت رعايته صنّف الشريف الإدريسي كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) المعروف أيضاً بكتاب «الرجاري» نسبة إلى الملك روجار. وظلت العُمْلة العربيّة – وهي المعروفة بالرباعي أي ربع الدينار – العُمْلة المتداولة في صقليّة وجنوب إيطاليا وفي عهد الأمبراطور فردريك الثاني (1198م – 1250م)، الذي كان شديد التعلّق والتأثر بكافة أوجه الثقافة العربيّة – الاسلاميّة. وفي عهده، بقيت الثقافة العربيّة في الجزيرة بفضل صلاته الواسعة مع سلاطين المسلمين في المشرق والمغرب. إلاّ أن الحال تبدّل في عهد شارل دانجو الذي انتزع الجزيرة من ابن فردريك عام 1266م. وكان شارل من غلاة الكاثوليك كأخيه الملك الفرنسي (لويس التاسع). فأكره مسلمي الجزيرة على التنصّر أو الرحيل.

إنّ دور صقليّة في انتقال التراث الفكري العربي إلى بقيّة بلدان أوروبا، مثله كمثل دور الأندلس، فكانت بمثابة الجسر الذي بفضله انتقلت المعارف إلى الغرب اللاتيني.

عن الحضارة الصقليّة راجع:

M. Amari, *Storia dei musulmani di Sicili* (Firenze, 1854 – 1872): 2 ed. a. cura di C.A. Nallino catania 1933 – 39.

De Simone, «Palermo nei geografi e viggiatori arabi del Medioevo», in *studi Magrebini*, Il Napoli 1968, pp. 129 – 189.

D.M. Smith, *Medieval Sucily*, London, 1968, pp. 11 – 12.

I. Maddkour, Palerme, centre de culture arabe, in *Mélanges (MIDEO)* 11, le Caire 1972, pp. 343 – 348.

A.Tlili, La Sicilia Descrita della Pena de un autre del x secolo / Ibn Hawpal in *Sharq al - Andalus Estudios Arabes*, 6 anales de la Universidad de Alicante (Espana) 1989 – 6 pp. 23 – 32.

1 – البندكتي :(D. Benedictus) نسبة إلى القديس سانت بنوا (Saint Benoît de Nurcie)، وهو مؤسس هذا التنظيم الدّيني بمونتو كاسينو Saint Benoît) حيث تتركّز عقيدتهم الدينية على مبدإ «الدعاء والعمل» (Ora et Labora).

المشـؤومة. فكان بذلك الناقل المجدّد للعلوم الطبيّة العربيّة. وانطلاقا من ذلك اعتُبر مَقْدم ‹قسـطنطين الإفريقي› إلى مدينة سـاليرنو، في نظر مؤرخي الطب «بالعصـر، الذّهبي لهذه المدرسـة». وأعماله المترجمـة إلى اللاتينيّة كانت طبيّة وغير طبيّة أيضاً، كما نَسب الكثير منها إلى نفسه، محافظا على الاسم الحقيقي لصاحب الكتاب كلّما كان المؤلّف مسيحيّا كـ‹حنين بن إسحاق العبادي› الطبيب الترجمان (تـ: 260هـ / 873 م)، أو يهوديّا كـ‹إسحاق بن سـليمان الإسرائيلي›، ولكنّه نسب إلى نفسـه المؤلفات الأخرى للعلماء العرب المسلمين خيفة منه أن تُحرق، إذ كانت الحروب الصليبيّة في أوجها، ومحاكـم التفتيش في كلّ حين، وربّما أيضاً خوفه على نفسـه أن يقتل إذا علموا أنه يُترجم كتب «الكفرة»، ويعني بذلك المسـلمين بنظر مسـيحيّ ذلـك العهد. كما نجد حوله روايتين. الأولى ترجّح أنّه كان مسـيحيا من المشـرق، ثمّ هاجر بحكم اشتغاله بالتّجارة إلى الشّمال الإفريقي. أمّا الرواية الثانيّة فترجّح بأنّه كان مسلما وتنصّر، وسُمِّي بـ‹قسطنطين الإفريقي› نسبة إلى مسـقط رأسـه، إذ لم يعثر على اسـمه الحقيقي. وربما كان يُدعى بـ Adala، ولعله اسـم محرَّف من اسم ‹عبدالله› أو اسم ‹عطاالله›، فانخرط بعد ذلك في سلك الرهبان البندكتون.

فالكاتـب الأوّل لسـيرة ‹قسـطنطين الراهب بيتـروس دياكنوس› أثبت مغاربيّتـه، وأخذ عن **دياكنـوس** (Diaconus) المؤرخـون المتأخّرون الذين أعـاروا للمسـألة عنايـة خاصّـة، أمثـال S.di Renzi[1] وDaremberg[2] **Ferd** Wüstenfeld[3] وL. Leclerc[4].

فـكل هؤلاء أجمعوا على أنّ ‹قسـطنطين› كان مسـلماً إلى حدّ وصوله ومكوثـه بإيطاليا[5]، وقد دعّم هـذه النّحلة الدينيّة أيضاً المسـتعرب الألماني

1 – S. di Renzi, *Storia documentata della scuola medica di salerno* 2e. éd. Naples 1857, 802.

2 – Ch. V. Daremberg, *Histoire des Sciences médicales*, I, Paris 1870.

3 – F. Wüstenfeld, *Geschichte der arabischen Ärzte und Naturforscher*, Göttingen 1840.

4 – L. Leclerc, *Histoire de la médecine arabe*, I, Paris 1980, 1er ed., Paris (E. Leroux) 1876.

5 – **انظر:** Boubaker Ben Yahya، Constantin l'Africain et l'école de Saler, ein

‹كارل سودوف› Karl Sudhoff، مفادها أن ‹قسطنطين› كان على الدّين المحمّدي[1].

وقد ذهب المؤرّخ ‹حسن حسني عبد الوهاب› من ناحيته، في كتابه **ورقات...**، [2] مصرّحا بأنّ ‹قسطنطين› كان مسيحيّا، مستنداً إلى وجود جاليات مسيحيّة بقرطاج والقيروان أثبت التاريخ وجودها إلى القرن الثاني عشر. وإذا ما علِمنا أن الكنيسة بإفريقيّة أصبحت بحكم سياسة الدولة العبيديّة في القرن الحادي عشر الحاكمة في تونس ومصر، تابعة لأسقف الإسكندريّة عوضاً عن البابا بروما، وإنه يوجد بالمغرب العربي باستثناء الأندلس مائة وخمس وأربعون أسقفيّة تابعة لقرطاج[3]، فإنّه مهما تكُنْ ميولات ‹قسطنطين الإفريقي› الدينيّة والعقائديّة، شأنه شأن الرحالة المغربي ‹حسن الوزّان› الذي سمّي ‹بليون الإفريقي› Léon l'Africain، يصبح هذا العامل ثانويّا بالمقارنة بما قدّمه هذا الرجل لخدمة الثقافة الطبيّة في الديار الغربيّة في عصرها الوسيط – ومن أجل ذلك نعتبره أوّل من عرّف أوروبا على العلوم الطبيّة عن طريق ترجماته إلى اللّغة اللاتينيّة، وذلك قبل ظهور المترجم الإيطالي ‹جيرارد الكريموني› 1114 م – 1187 م Gherardo di Cremona بقرن كامل.

Cahiers de Tunisie, 9, 1955. p. 53.

1 – K. Sudhoff, (*Archeion*, 1932).

عن د. أحمد بن ميلاد، قسطنطين الإفريقي، **أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب** – جامعة حلب، معهد التراث العلميّ العربي، 1984، ص 376.

2 – ح.ح. عبد الوهاب، **ورقات عن الحضارة العربيّة بإفريقيا التونسيّة**، ج 1، تونس 1972، ص 22.

3 – Ménage, *Une page d'histoire de l'Eglise d'Afrique*, Alger, 1903.p.92.

حسَب د. أحمد بن ميلاد، فإنّ الرأي الذي طرحه المؤرخ ح.ح. عبد الوهاب مأتاه قراءة كلّ من (لبيار) و(بلّقران) والقائلة أنّ قسّيسا من ديرمنتة كاسينو يدعى قسطنطين الإفريقي، الذي تلقّى ثقافة لاتينية وعربيّة، وتولّى الكتابة عند ربار جسكار (Rober Giscard) ملك صقليّة، ثم اعتنق المسيحيّة واستقرّ بهذا الدّير، وفيه قام بترجمة عدّة كتب لعامل القيروان:

Lapeyre et Pellegrin, *Carthage Latine et Chrétienne*, Paris, (Payot), 1950: ويتبعهم في ذلك (إدريس) حيث يرى أنّ الجالية المسيحيّة بقرطاج انتخبت من بينها قسّا، وذلك في عهد البابا بُنُوا السابع (Benoit VII)، والتحق هذا القس بروما ليتوّج أسقفا. ومن ناحية أخرى، أكّدت رسائل الباب قريقوار ا (Grégoire XII) على حيوية تلك الجاليّة، وعلى أنّ قسطنطين الإفريقي ابن من أبنائها. راجع، د. أحمد بن ميلاد، المرجع السابق، ص 367.

(3)

أ/ تجدر الإشارة إلى أنّ ‹قسطنطين› الإفريقي لم يكن بالمتوحّد أو المنطوي على نفسه، بل كان له أكثر من مريد وطالب للعلم كتلميذه ‹يونس الفاسي› Loanes Afflacius الملقّب ‹بصراسنوس› 1040م - 1103م Saracenis.

هذا الأخير كان، بلاشّك، عالما من أصل عربيّ، مثله مثل ‹قسطنطين›، عاش في ساليرنو، والتحق كراهب بدير مونتي كاسينو، فأنهى ترجمة القسم المتعلّق بالجراحة من كتاب **الملكي** *Liber regius* لـ‹علي بن العباس المجوسي›[1]، كما أثّر ‹قسطنطين› تأثيرا مباشراً في ‹يوحنّا بلا ثوريوس الأصغر›، *loannes Platearius runior* صاحب كتاب **الصناعة الصغيرة** *Practica bravis* و**تدبير البول** *Regulae urinarum*.

ب / أمّا من ناحية إنتاجه العلميّ فنلاحظ أنّ مؤلفات ‹قسطنطين الإفريقي› ليست ترجمات فقط، وإنّما هي أيضاً شروحات قريبة من النّص الأصليّ للمؤلفات العربيّة وإن اكتفت، حتّى الآن، آدابنا المتخصصة بنشر قائمة بأسماء أعماله، وهي جميعها عبارة عن ترجمات لأعمال عربيّة قيروانيّة وبغداديّة ويونانيّة، مثْل ترجمته للقسم الأكبر لكتاب **الملكي** المعروف أيضاً باسم **الكنّاش** أو كتاب **كامل الصناعة الطبيّة لعلي بن العباس المجوسي** – البغدادي (Haly Abbas) القرن الرابع الهجري / القرن العاشر الميلادي[2]. وكذلك كتاب **زاد المسافر وقوت الحاضر** للطبيب

1 – اعتمدت بعض المصادر على كتاب: العمليات الجراحيّة الذي ألّفه الطبيب روجر السالرنوي عام 1170م على أساس أنه يعدّ من بين أقدم ما ألّف في الجراحة في الغرب اللاتيني. مع أنّ هذا المؤلَّف لا يعدو أن تكون معلوماته في نظر أهل الاختصاص إلاّ أخذًا من كتاب الملكي المعروف باسم كتاب: الكامل في الصناعة الطبية لعلي بن عباس المجوسي، والذي سبق أن ترجمه قسطنطين الإفريقي. والمحلّلون لكتاب (روجر السالرنوي) أكّدوا على أسلوبه العربي من حيث تخطيطه من ناحيّة العلاج، حيث أشار إلى علاج «الغدّة الدّرقية» بالأعشاب البحريّة، وهو ما يتّفق معه رأي الطب الحديث الذي أكّد ثراء منتجات البحر بمادة اليود اللازمة لصناعة هرمون الغدّة الدرقية، ثم نجد في أحد فصول هذا الكتاب «باب في علاج المفاصل بمركبات الذهب»، وهو أسلوب عربي قديم، اعتدناه في قراءة النصوص الطبيّة القديمة.

2 – يعتبر علي بن العباس المجوسي من بين أكبر أطباء المشرق العربي إلى جانب الطبيب الرّازي والشيخ الرئيس ابن سينا، فهو مسلم من الأهواز (العراق) حوله، انظر: Dr: Sleim

‹ابن الجزّار القيرواني› [1] والذي سمّاه بعنوان: *Viaticum Peregrinantis* [2]، وقد

Ammar; *Médecins et Médecine de l'Islam*, Paris, 1984, pp. 191 – 200.

1 – هو أبو جعفر بن إبراهيم بن أبي خالد ويُعرف بابن الجزّار (285هـ / 898م)، من أهل القيروان، طبيب وابن طبيب، وكان عمّه أبو بكر محمد بن أبي خالد ابن الجزّار طبيبا، تلقّى علم الطب في صغره عن إسحاق بن عمران وعن إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، وكذلك عن زياد بن خلفون وغيرهم. وفي مراجعاتنا لتآليف ابن الجزّار، يتبيّن لنا أنّه اطّلع على عدّة كتب يونانيّة وعربيّة – كما سبق أنْ أشرنا إلى ذلك، أمّا اقتباسه من المؤلفات اليونانيّة فتنحصر في أعمال دياسقوريدوس، وجالينوس ويقول عنهما ابن الجزار في مقدّمة كتابه الاعتماد في الأدويّة المفردة: فإنّ هذين الرجلين لا نهاية وراءهما ولا حجابة بعدهما فيما عاينّاه من هذا الفن «أي» فنّ معرفة الأدوية ومنافعها «ونذكر أيضاً: أبقراط وبولس الأجانيطي (Paul d'Egine)، وروفس الافسيسي (Rufus d'Ephèse)، وأرسطو طاليس، وإيلي، وكليو بترا (Cléopâtre)، وإياطيوس الأمدي (Aitius d'Admide)...، ولقد ساهم ابن الجزار مساهمة كبيرة في تطوير الصيدلة، من الناحية المهنيّة والنّاحية العلميّة، وله الفضل في الفصل بين الطب والصيدلة، وذلك في مستوى الممارسة والتأليف. حيث خصّص ابن الجزار في سقيفة داره مكانا للأدوية، وكان يعدّ الأدوية بنفسه. واهتمّت مؤلفاته «بالأدوية المفردة» و«الأدوية المركبة»، ومنها نذكر كتاب الاعتماد، كتاب العطور، كتاب إبدال العقاقير. أمّا كتبه المفقودة في هذا الحقل فهي: كتاب البغية في الأدوية المركبة، كتاب في الحيوان نصّه اللاتيني طبع بليون – فرنسا عام 1536م (*Liber de Animalibus*)، كتاب في مصالح الأغذية، نذكر منها: زاد المسافر وقوت الحاضر، ثم، سياسة الصبيان وتدبيرهم، كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها، طب الفقراء والمساكين. راجع في ذلك: د. الراضي الجازي، ابن الجزار الصيدلاني، في الندوة العلميّة لألفية ابن الجزار، ص ص 181 – 218 محمد زهير البابا، العقاقير والأدوية المركبة في مؤلفات الطبيب القيرواني (ابن الجزار) في ألفيّة ابن الجزار، ص ص 247 – 272.

2 – كتاب زاد المسافر ترجم إلى اللغة اليونانية بعنوان (*Ephodos*)، وكان ناقله يدعى قسطنطين الرجيوني (*Constantinos Rhéginos*) –، وقد اختلف اختلافا كبيراً في تحديد هويّة الرجل. وممّا قيل عنه إنّه لا يعدو أن يكون قسطنطين الإفريقي، ناقل زاد المسافر إلى اللغة اللاتينيّة – وقد تمّت الترجمة اليونانيّة في آخر القرن العاشر الميلادي. ولقد لقت هذه الترجمة إقبالا إلى القرن السادس عشر.

وقد لقيت الترجمة في نصّها اللاتيني – وهي في ذاتها محرّفة ومختصرة – كثيرا من التبديل والتغيير أيضاً، مثل الترجمة اليونانيّة بداية من القرن الثاني عشر، وقد طبعت طبعات كثيرة – في نصوص مختلفة – منها طبعة أولى في ليون (Lyon) فرنسا، عام 1510م، بعنوان *(Brevarium Constantini dictum viaticum)*، وطبعت طبعة ثانيّة بليون أيضاً عام 1515م، ضمن أعمال إسحاق بن سليمان المترجمة إلى اللاتينيّة بعنوان: (*Omnia opéra Issaci- éd*,: Andreas Torines) ، والثالثة بمدينة بال السويسريّة عام 1516م بعنوان: (*Viaticum Peregrinantis*)، وطبعة رابعة بليون عام 1536م أيضاً، ضمن أعمال قسطنطين الإفريقي *(Opéra Constantinus Africanus)*. وقد تُرجم الكتاب إلى اللغة العبريّة ترجمتين في عام 1124م، وأخرى على يد موسى بن طبون عام 1259م عن النص العربي بعنوان: (*Tzedad derachim*)). انظر: إبراهيم

اعتمــد المترجــم – إخفاء انتحاله إلى تلخيص النــصّ في مواضع كثيرة من عمله، وحذف أســماء العلمــاء الذين اعتمدهم ‹ابن الجــزار القيرواني›[1]. وقد

بن مراد، (كراس): الندوة العلميّة لألفيّة أحمد بن الجزار، تونس – وزارة الشؤون الثقافيّة، 12 – 15 أفريل 1984، ص 17. في الترجمة اليونانيّة، انظر:

G.E. Pentagolos, la traduction du «*Zâd al-Mocâfir*»; d'Ibn al – Jazzâr, Connue sous le nom de «Ephodiatou Apodimountos», in *Millénaire d'Ibn al - Jazzâr*, 12 – 15 avril, Tunis 1983, pp. 41 – 49.

1 – المصادر العربيّة الإسلاميّة التي اعتمدها ابن الجزار القيرواني هي:

ثلاثة كتب لابن ماسويه (تـ 243هـ/ 857 م): **كتاب البصيرة**، و**كتاب النّجح**، و**كتاب التّمام والكمال**.

كتاب **الأدوية المفردة** لإسحاق بن عمران، هذا الكتاب نَقل منه ابن الجزّار – ولم يصرّح به وهو كتاب مفقود، ولم تبق لنا منه إلاّ 160 فقرة في كتاب ابن البيطار: **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**.

كتاب للطبيب تيادوق – وهو طبيب مسيحي خدم بالطبّ الحجّاج بن يوسف الثقفي في العراق) (تـ 90هـ/ 709 م). هذا ولم يذكر له ابن الجزار أيّ كتاب معيّن.

نقل ابن الجزّار عن عمّه أبي بكر محمد بن أحمد ابن الجزّار (بعد 322هـ / 933م)، ولم يذكر له ابن الجزّار كتابا معيّنا.

الكندي أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (تـ: حوالي 256هـ/ 870 م)، ولم يذكر ابن الجزار له كتابا معيّنا.

حنين بن إسحاق العبادي، الطبيب الترجمان (260هـ/ 873 م)، ولم يذكر له كتابا.

كتاب **الحاوي** الذي يسمّيه ابن الجزّار أيضاً بـ: **الكتاب الكبير** للرازي أبي بكر محمد زكريا، (تـ 313هـ 925م) وهما متعاصران.

إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، ونقل ابن الجزار عنه كثيرا إلاّ أنه لم يصرّح بذلك، كما أنّه لم يذكر له كتابا بعينه.

سابور بن سهل (تـ: 255هـ 869 / م).

بختيشوع بن جبريل (تـ: 256هـ 869 / ك)

قسطا بن لوقا البعلبكي (تـ حوالي 300هـ/ 912 م).

أهرن القسّ

جورجيس بن بختيشوع: هو جدّ بختيشوع السابق الذكر (تـ: عام 152هـ/ 769 م).

ماسرجويه، هو طبيب يهودي سرياني.

الطبري، أبو الحسن علي بن ربّن (توفي حوالي عام 240 مش/ 855 م).

السّاهر، يوسف القس.

زياد بن خلفون (تـ: 308هـ/ 920 م)

شمعون الراهب.

يونس أبو الوليد: لم يعثر له على ترجمة، وقد ذكره ابن الجزار في **زاد المسافر** مرّة واحدة.

راجع: ابراهيم بن مراد، مصادر ابن الجزار في كتبه الطبية. في **الندوة العلميّة لألفية ابن الجزار**، تونس 1983، ص ص 133 – 134. كذلك، فريد جحا، مصادر دراسة الطبيب

انتبـه الباحثـون الأوروبيون مبكّـرا – منذ القرن السـادس عشـر – إلى أمر الانتحال، ولكنّهم لم يتّفقوا في نسبة الكتاب إلى صاحبه الأصلي لأنّ منهم من نسـبه إلى ‹إسـحاق بن سـليمان› Issac Judeus Isaraeli، كما قام أيضاً بترجمة كتاب الاعتماد ‹لابن الجزّار› بعنـوان: *Liber de Gradibus simplicium*، أي «في طبائع الأدوية ودرجاتها»[1]، وقد انتحل المترجم هذا الكتاب وادّعاه لنفســه. وكان الكشف عن هذا الانتحال فيما يتعلّق بكتاب الاعتماد على يد الباحث اليهودي ‹شتنشنيدر› M. Stenschneider عام 1866 م[2]).

فقد لاحـظ هذا الباحث أنّ كتـاب **الاعتمـاد** *Liber de Gradibus* ليس إلاّ ترجمة مختصرة للغاية ومشوّهة لأثر عربيّ، أعطاه ‹قسطنطين› عنوانا من عنده (للتغطيـة على انتحالـه). إنّ الإعلان لأوّل مرّة على اكتشـاف ‹شتنشـنيدر› فـي مقاله بعنـوان: Liber de Gradibus de Constantin et L'adminiculum d'Ibn al - Jazzar ظهرت في وثائق التّشـريح المرضي ‹لفيرشـو›، مجلّد37[3]، يؤكّد لنـا أنّ المكتبة الوطنيّـة في ميونخ تحتفـظ بمخطوطة تحتوي على ترجمــة لاتينيّـة لأثر عربيّ، وأنّ طبعتــه المختصرة هــي: *Liber de Gradibus* لا

العربي الكبير ابن الجزار في **الندوة العلميّة لألفيّة ابن الجزار**، ص ص 49 – 61.

1 – نُقل كتاب **الاعتماد** إلى اللاتينيّة والعبرية. وقد نُقل إلى اللاتينية مرتين: أُولاهما في ترجمة أنجزها قسطنطين الإفريقي بعنوان: (*Liber de Gradibus simplicium*)، وقد انتحل المترجم هذا الكتاب وادّعاه لنفسه مثل الذي فعل بكتاب **زاد المسافر**. وثانيتهما أنجزها عالم أندلسي، هو إصطيفن السرقسطي (Stephanus de Saragossa) عام 1233 م في الأندلس بعنوان:.(*Liber fiducia de simplicibus medicinis*) وقد نشرت هذه الترجمة في ألمانيا عام 1841. وعند مقارنة ترجمة إصطيفن الحرفيّة بعمل قسطنطين الحرّ، نلاحظ أنّ هذا الأخير لم يترجم الكتاب كلّه، وإنّما اختار منه واختصره.
أنظر:

«Der Liber fiducia… des Ibn al – Jazzâr» *in der Ubersetzung von stephanus de Saragossa , ubertragen aux der handschirift,* München; Cod. Lat. 253 / (éd, L.V. volger).

– J. Najem, Présentation d'un médical inédit d'Ibn al – Jazzâr, à la Laurenziana en Italie, *in Millénaire d'Ibn al - Jazzâr*, Tunis, 1983, pp. 13 – 17. A. Tlili, « Appui sur les médicaments simples d'Ibn Al – Jazzâr, *Milinaire d'Ibn al - Jazzâr*, pp. 75 – 88.

راجع نفسه، النص العربي، ص ص. 407 – 418.

2 – أنظر: Lothar Volger, Der liber fiducia de simplicibus, medicinis, p22.

3 – *Virchows Archiv*, Bd. 37, 1986.

ســواه. هذا وقد أكمل ‹شتنشنيدر› اكتشــافه في دراسته اللاّحقة، علما بأنّنا نعــرف أنّ رجلا عربيّا يدعى ‹أبــا جعفر ابن إبراهيم ابن أبي خالد الجزّار›، من مواليد القيروان بتونس، ســبق له أن وضع كتابا عن النّبات، أســماه كتاب **الاعتماد في الأدوية المفردة**[1]، فهذا الكتاب يعطينا صورة عن واقع «السمامة» أي «علم الســموم» في مناطق شــمال إفريقيا التي كانت على اتّصال مباشر ‹بساليرنو› في العصر الوســيط [2]. ومن كتب ‹ابن الجزّار› التي قام ‹قسطنطين الإفريقي› بانتحالها أيضاً نذكر كلّ من كتاب «**المعدة**»، نقله ‹قسطنطين› بعنوان *Liber de stomacho*، وقد نشر ضمن أعمال الإفريقي عام 1536م في بازل (بسويســرا)، ومقالة في الجذام، نقلها ‹قســطنطين› أيضاً بعنوان *De elephantisi*، ومن بين الكتب المنسوبة أيضاً إلى ‹قسطنطين› الإفريقي نذكر كتاب: *De animalibus*. هذا الكتــاب ليس بعيدا أن يكون ترجمة منتحلة لكتاب ‹ابن الجزّار› «في الحيوان»[3].

1 – نلاحظ أن كلمة **اعتماد** قد ترجمت بكلمة (Adminiculum). أمّا كتاب **الاعتماد** فقد ترجم بعبارة «Liberfiducia». ولا تقتصر الأهميّة التاريخيّة لكتاب **الاعتماد** (*Liber de Gradibus*) على كونها تكشف في الوقت المناسب الطبيعة الحقيقية لنشاطات قسطنطين. وهذا الكتاب يعطينا صورة عن واقع «علم السموم» في مناطق شمال إفريقيا التي كانت على اتصال مباشر بساليرن في العصر الوسيط

2 – حول مدرسة ساليرنو راجع: «منتخبات ساليرنو» *Collection salernitana* طبعها سلفدور دي رنزي (Salvadore de Renzi) في خمسة مجلّدات نابولي، 1852 – 1859.

Magistri salernitani nondum, editi de Piero giacosa 2 vol., Torino, 1901.

G. Decavin, *l'école de Salerne et la médecine salernitaine*, (thèse de doctorat en médecine), Paris 1888.

Modestino del Gaizo, *La scuola medica di Salerno Studiata nella storie e nelle legende*, Naples 1896.

Ch. Singer, The original of the medical school of Salerno, *in Essays presented to sudhoff*. 18 – Zurich 1923.

S. Di Renzi, *Storia documentata della scuola medica di Salerno*, 2e. éd., Naples 1857.

3 – وهو ما لاحظه الباحث إبراهيم بن مراد، ونحن ننتحي هذا الرأي باعتبار أنّ قسطنطين انتحل أربعة من كتب ابن الجزار الأخرى، فلا غرابة في أن يكون كتاب في الحيوان خامسها. ابن مراد، الندوة العلميّة لألفية حسن ابن الجزار. ص 19

وقد سبق أنْ أشرنا أنّ ‹قسطنطين› قام أيضاً بترجمة كتاب **طبّ العيون** لـ‹حنين بن إسحاق العبادي› (817 م 809 م)، وكذلك عدّة رسائل طبيّة ‹لأبي يعقوب إسحاق بن سليمان العبري›، ومنها **كتاب الأغذية** *Liber de elementus*، وكتاب **البول** *Liber de uriniscum commento ejusdem* و**المختصر في علم الحميّات** *Liber de febribsu*. كذلك قام بترجمة كتاب ‹إسحاق بن عمران البغدادي - القيرواني› في **المليخوليا** [1]. كما ترجم من العربيّة مؤلفات لحكماء يونانيين ككتاب **منهاج الطب لجالينوس** *Galien*، وكتاب **مدخل لفن الطبّ لأبقراط** *Hypocrate*، وهو مجموعة من رسائل مصحوبة بشروحات **لجالينوس**، وهو الرائد الأوّل في علم تشريح الأحياء.

هذه إذًا بعض الإشارات للمصنفات العلميّة التي قام بها ‹قسطنطين الإفريقي›[2] في ديار الهجرة رغم الحالات الكثيرة التي كان فيها ‹قسطنطين ›يعطي عناوين لترجماته الحرّة ممّا عرقل نسبيّا البحث عن الأصول الحقيقيّة. وإذا ما تجاوزنا هذا الرأي المطروح لأيقنّا أن لـ‹قسطنطين› فضل السّبق في نقل المعارف الطبيّة العربية خارج حدود حوض البحر الأبيض المتوسّط. وإنّ مجرّد ذكر ترجماته، ولو بشكل موجز، كاف لإقناعنا بأنّ هذا الرّجل كان بحقّ صلة الوصل المتمثلة في تقارب الثقافة الطبيّة بين موطنه تونس والدّيار الأوربيّة في العصر الوسيط، ومن ذلك وجب علينا تنزيله المنزلة التي يستحقّها في التاريخ الإنساني.

---

1 – راجع أسفله.

2 – للمزيد من الاطلاع على قسطنطين الإفريقي راجع الأعمال التالية:

R. Creuz, Der Arzt Constantinus Africanus von Montecasino, in *Stud. Und Mitt. Z. Gesch. d. Benediktinersordens*, Now – série, XVI, pp. 44, 1929.

Lehmann, Die Arbeitsweise des const. Afri. U.d. John. Anocius, *in Archiv für Gesch. d. Maht..*, XII, 1930, pp 2172 – 81.

K. Sudhoff, Konstantin der Afriskaner und medizinische von Salerno, *in Sudhoffs Arch. D. Gesch D. Medizin*, XXIII, pp. 993 – 98.

A. Mieli, *La science arabe et son rôle dans l'évolution scientifique mondiale*, Leyde 1939pp. 220 – 225.

B.Ben Yahia, Constantin l'Africain, *in E12*, II, pp. 60 – 61, Constantin l'Africain et l'école de Salerno, in *Les Cahiers de Tunisie*, 8, 1955, pp. 49 – 59.